

الدر المنثور

سنة الملك أن يوعد ولا يخلف ولا يكذب فخرج الملك للعيد فقامت امرأته فشيعة وكان بها معجبا ولم تكن تسأله فيما مضى فلما أن شيعة قال الملك : سأليني فما تسأليني شيئا إلا أعطيتك قالت : أريد دم يحيى بن زكريا .

قال لها : سأليني غيره .

قالت : هو ذاك .

قال : هو لك فبعث جلاوزتها إلى يحيى وهو في محرابه يصلي وأنا إلى جانبه أصلي فذبح في طست وحمل رأسه ودمه إليها .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : فما بلغ من صبرك ؟ قال : ما انفتلت من صلاتي فلما حمل رأسه إليها ووضع بين يديها - فلما أمسوا - خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل : لقد غضب إله زكريا لذكرياء فتعالوا حتى نغضب لملكنا فنقتل زكريا فخرجوا في طلبه ليقتلوني فجاءني النذير فهربت منهم وإبليس أمامهم يدلهم علي : فلما أن تخوفت أن لا أعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني فقالت : إلي إلي وانصدت لي فدخلت فيها وجاء إبليس حتى أخذ بطرف ردائي والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجا من الشجرة وجاء بنو إسرائيل فقال إبليس : أما رأيتموه دخل هذه الشجرة ! هذا طرف ردائه دخل به الشجرة فقالوا : نحرقت هذه الشجرة فقال إبليس : شقوه بالمنشار شقا .

قال : فشقت مع الشجرة بالمنشار .

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : يا زكريا هل وجدت له مسا أو وجعا ؟ قال : لا إنما وجدت تلك الشجرة جعل الله روعي فيها " . وأخرج ابن عساكر عن وهب بن منبه أن زكريا هرب ودخل جوف شجرة فوضع على الشجرة المنشار وقطع بنصفين فلما وقع المنشار على ظهره أن فأوحى الله " يا زكريا إنما أن تكف عن أنينك أو أقلب الأرض ومن عليها " فسكت حتى قطع نصفين .

وأخرج أحمد في الزهد وابن عساكر عن يزيد بن ميسرة قال : كان طعام يحيى بن زكريا الجراد وقلوب الشجر وكان يقول : من أنعم منك يا يحيى ؟ طعامك الجراد وقلوب الشجر . وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن عساكر عن أبي إدريس الخولاني وابن المبارك وأحمد في الزهد وأبو نعيم عن مجاهد قال : كان طعام يحيى بن زكريا العشب وإن كان ليبيكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينه لأحرقه ! ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه